رسالة الى صديقة

صديقتي
عمي صباحاً إن أتاك في الصباح
هذا الخطاب من صديقك المحطم المريض
وادعي له الـ‍ـه الوديع ان يشفيه
وساحييه، كيف يرجو أن ينمق الكلام
وكل ما يعيش فيه أجرد كئيب ؟
فقلبه كسير
وجسمه مغلـّل الى فراشه الصغير
وبالجراح والآلام قلبه كسير
نهاره ثرثرة العواد والصحاب
وليله غرائب لم يحوها كتاب
بالامس في نومي رأيت الشيخ محيي الدين
مجذوب دربنا العجوز
وكان في حياته يعاين الالـ‍ـه
تصوري ! ويجتلي سناه
وقال لي .. « ونسهر المساء
مسافرين في خديقة الصفاء
يكون ما يكون في مجالس السمر
فظنّ خيراً ، لا تسلني عن خبر
ويعقد الوجد اللسان .. من يبح يضل
ومت مغيظاً قاطعَ الطريق
ومات شيخنا العجوز في عام الوباء
وصدقيني ! حين مات فاح ريح طيب
من جسمه السليب

وطار نعشه وضجت النساء بالدعاء والنحيب
بكيته، فقد تصرمت بموته اواصر الصفاء
ما بين قلبي اللجوج والسماء
بالأمس زارني ووجهه السمين يستدير
مثل دينار ذهب
ومقلتاه حلوتان .. جرتان من عسل
عميقتان بالسرور
بياض ثوبه يكاد يخطف الابصار
وقال لي ، وصوته العميق كالنغم
يا صاح ! أنت تابعي
فقم معي !
رد مشرعي، فالأمر في (الديوان) .. قم !
— يا شيخ محيي الدين انني كسير
— لا يكسر الجناح يا إنسان داء قلبه
[النسيان
— يا شيخ محيي الدين إنني صغير
— بل كلنا صغار، الحبيب وحده هو الكبير
لم أدر كيف غاب
لا من خلال باب
أنصتُّ لم اسمع خطاه تلمس التراب
حدقت وانتفضت وانزعجت لحظةً وغاب

***

صديقتي .. إني مريض
وساعدي مكسور
ومهجتي على الفراش كل ساعة تسيل
وأغزل التراب في سكينتي رداء
وأصنع الاكفان ثم أنجر التابوت
هذا الصباح !
أدرت ظهري للحياة، واغتمضت كي أموت
في هدأة السكوت
قد آن للشعاع أن يغيب
قد آن للغريب ان يؤوب
للمركب الجانح ان يرسو على شط قريب
للجدول الناضب ان يفضي إلى نهر رحيب
وطرقتين فوق بابنا .. موزّع البريد
لا ! لا أريد
هل من مزيد يا حياة .. مخنتي هل من مزيد
خطابك الرقيق كالقميص بين مقلتي يعقوب
أنفاس عيسى تصنع الحياة في التراب
الساق للكسيح
العين للضرير
هناءة الفؤاد للمكروب
المعدمون ، التائهون المقعدون يفرحون
كلما فرحت بالخطاب يا مسيحي الصغير

القاهرة

صلاح الدين عبد الصبور
من الجمعية الادبية المصرية